



خطبة صلاة الجمعة 23 / 11 / 2018 للشيخ الطيب محمد خير الشعال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(صلة الفقهاء برسول الله صلى الله عليه وسلم)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا، وَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب 45].

روى الإمام البخاري عن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال: «لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة. فقال: أجل، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً».

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب 21].

أيها الإخوة:

بمناسبة دخول شهر ربيع الأول شهر ولادة سيدنا محمد جاءت سلسلة الخطب بعنوان: صلة علمائنا برسول الله صلى الله عليه وسلم.

لنزداد له محبة ولنجتهد به اقتداء ولنكثر عليه صلاة، صلوات ربي وسلامه عليه.

تحدثت الخطبتان الماضيتان عن صلة الصحابة الكرام برسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلة المحدثين برسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنوان خطبة اليوم: صلة الفقهاء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة:

عرف العلماء الفقه بأنه: العلم بالأحكام الشرعية العملية، المكتسب من أدلتها التفصيلية، ومن هنا لا تجد فقيهاً منفكاً عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن السنة كما تعلمون هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم. فحياة الفقيه متصلة بآيات القرآن وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وربما بات فقيه ليالي وأياماً مع حديث نبوي شريف فاستنبط منه أربعين حكماً أو سبعين أو أقل أو أكثر، قال الإمام الشافعي عن حديث «**إنما الأعمال بالنيات**»: هذا الحديث ثلث العلم ويدخل في سبعين باباً من الفقه، واستنبط ابن حجر في الفتح من حديث بريرة أكثر من ستين فائدة، وقال النووي: صنف فيه ابن خزيمة وابن جرير تصنيفين كبيرين أكثرهما فيهما من استنباط الفوائد منه.

من أجل هذا تعلق الفقهاء برسول الله صلى الله عليه وسلم حباً وأدباً، وطاعة واقتداءً، وذكرًا وصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

- فأما حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم وأدبهم معه:

فحسبي أن أطلعكم على حال الإمام مالك صاحب المذهب المالكي، فقد كان له من المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم غاية لا يدركها إلا من وصل إليها، قال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عنده تغير لونه وانحنى، حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له يوماً في ذلك فقال: لو رأيتم لما أنكرتم علي ما ترون، كنت آتي محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث إلا بكى حتى نرحمه.

ولقد كنت آتي جعفر بن محمد وكان كثير المزاح والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اخضر واصفر، وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عن الطهارة.

ولقد كنت أرى عامر بن عبد الله بن الزبير إذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع.

ولقد كان الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم، فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته، ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين، فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه.

وكان يقول: إني لأذكر وما في وجهي طاقة من شعر، وما منا أحد يدخل المسجد إلا معتمماً إجلالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان من إجلاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يطأ تربة وطئ عليها رسول الله بحافر، يقول: أنا استحي من الله أن أطأ تربة نبي الله بحافر دابة؟

كان رحمه الله إذا أراد أن يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتسل وتبخر وتطيب، وجلس على صدر فراشه أو على المنصة ولا يجلس عليها إلا إذا حدث وسرح لحيته، وتمكن من جلوسه بوقار وهيبة، ثم حدث، فقليل له في ذلك، فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإذا رفع أحد صوته عنده قال: اغضض من صوتك فإن الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: 2]. فمن رفع صوته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما رفع صوته فوق صوت النبي. وقال: وحرمة حيأ وميتاً سواء.

بل إن من محبة الفقهاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيرهم له وأدبهم معه أنهم كانوا يكرمون ويوقرون طلاب الحديث وتلامذته، فقد كان الإمام أحمد معظماً لأهل الحديث، يقول: أصحاب الحديث أمراء العلم، ومن عظم أصحاب الحديث تعظم في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حقرهم سقط من عين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أصحاب الحديث أحبار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الفضل الزبيدي: سمعت الإمام أحمد يقول وقد أقبل أصحاب الحديث وبأيديهم المحابر فأومى إليهم وقال: هذه سرج الإسلام وقال مرة فيهم: إن لم يكونوا هؤلاء الناس فلا أدري من الناس. لقد أحب الفقهاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقروه وعظموه وتأدبوا معه ومع كل من ينتسب إليه. وكل ما ينسب له.

– وأما طاعة الفقهاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومتابعتهم له:

فقد كان الإمام أحمد يقول: من رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة. ويقول: ما كتبت حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقد عملت به.

وكان الإمام الشافعي يقول: ليس في سنة رسول الله إلا اتباعها.

وروى الإمام الشافعي يوماً حديثاً فقال له رجل: أتأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟، فقال: متى ما رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً صحيحاً فلم آخذ به، فأشهدكم أن عقلي قد ذهب. [أخرجه البيهقي].

وسأل رجل الشافعي عن حديث فقال هو صحيح، فقال له الرجل: فما تقول؟، فارتعد وانتفض، وقال: أي سماء تُظلني وأي أرض تُقلني إذا رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وقلت بغيره". وقال الشافعي: إذا صحَّ الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت قولاً فأنا راجع عن قولي وقائل بذلك".

روى ابن سماك عن أبي ذئب حديثاً يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَتَلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِنْ أَحَبَّ أَحَدَ الْعُقُلِ وَإِنْ أَحَبَّ فَلَهُ الْقَوْدُ». فقال ابن سماك: فقلت لابن أبي ذئب: أتأخذ بهذا يا أبا الحارث فضرَبَ صدرِي وصاح عليّ صياحاً كثيراً ونال مِنِّي وقال: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول: تأخذ به! نعم آخذ به، وذلك الفرض علي وعلى من سمعه، إنَّ الله عز وجل ثناؤه اختار محمداً صلى الله عليه وسلم من الناس فهداهم به وعلى يديه، واختار لهم ما اختاره له وعلى لسانه، فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين، لا مخرج لمسلم من ذلك، قال: وما سكت عني حتى تمنيت أن يسكت.

أخرج البيهقي عن الأوزاعي قال: "إذا بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث فإياك أن تقول بغيره، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبلغاً عن الله تعالى".

لقد تابع الفقهاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطاعوا قوله وتأسوا بسنته بل كانوا نجاة الخلق في اتباع السنة، قال الإمام مالك: "السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق".

– أما كثرة صلاحهم وسلامهم على النبي صلى الله عليه وسلم:

فيكفي أن أذكركم بقصة عبد الله بن عبد الحكم قال:

"رأيت الشافعي في النوم، فقلت. ما فعل الله بك؟ قال: رحماني وغفر لي وزفني إلى الجنة كما تزف العروس، ونثر علي كما ينثر على العروس، فقلت: بم بلغت هذه الحال؟ فقال لي قائل: يقول لك بما في كتاب الرسالة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم". قلت: فكيف ذلك؟ قال: وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون. قال: فلما أصبحت نظرت في الرسالة فوجدت الأمر كما رأيت: النبي صلى الله عليه وسلم".

وقد ذهبت إلى مقدمة كتاب الرسالة فوجدت فيه صلاة الشافعي على النبي صلى الله عليه وسلم وفيها: (فصلى الله على نبينا كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون. وصلى عليه في الأولين والآخرين، أفضل وأكثر وأزكى ما صلى على أحد من خلقه. وزكنا وإياكم بالصلاة عليه أفضل ما زكى أحداً من أمته بصلاته عليه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته. وجزاه الله عنا أفضل ما جرى مرسلًا عن أرسلي إليه، فإنه أنقذنا به من الهلكة، وجعلنا في خير أمة أخرجت للناس... فصلى الله على محمد وعلى آل محمد، كما صلى على إبراهيم وآل إبراهيم إنه حميد مجيد).

وبعد أيها الإخوة:

هذا شيء من صلة الفقهاء بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعلقهم به: يحبونه ويوقرونه ويتأدبون معه، ويطيعونه ويتابعونه ويقتدون به، ويكثرون ذكره والصلاة عليه. فإذا كان هذا حال أولئك الأعلام فما عسانا نفعل لتزداد قربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلقا به؟

أقترح عليك أربعة أمور:

- 1- اقرأ شيئاً من حديثه صلى الله عليه وسلم وسيرته واحفظ شيئاً من الحديث.
 - 2- الزم ورداً يومياً بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، واحضر مجلساً للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مرة كل أسبوع.
 - 3- طبق ما استطعت من سنته.
 - 4- اصحب من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب 56].

والحمد لله رب العالمين